التذكير والتأنيث في شواهد لسان العرب القرآنية

أ.م.د.محمد علي غناوي جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية

المقدمة

هذا البحث ثمرة تتبع للشواهد القرآنية التي ضمها لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ومعلوم أن لغة القرآن الكريم هي اللغة الفصحى التي يفزع إليها حذاق الشعراء والخطباء في نظمهم ونثرهم ، وللشواهد أهمية لدى جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم ، وكلما كانت اللغة صحيحة مستقاة من أفواه العرب الفصحاء كان الكتاب الذي استشهد بها مقبولاً لدى العلماء .

ولان مادة البحث تعتمد على شواهد القرآن الكريم الواردة في لسان العرب فقد قمت بجمع هذه الشواهد بعد قراءة متأنية في اللسان ومن ثم صنفتها على مباحث اللغة المختلفة فوجدتها تتناول مستويات اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية كما وجدت قسما منها يتعلق بمبحث التذكير والتأنيث فكان هذا الموضوع مشروعاً لهذا البحث.

وقبل الشروع في بحث هذه الظاهرة اللغوية المهمة التي تمثلت في شواهد اللسان القرآنية أرى انه لابد من الماعة سريعة تتناول الفقرات الآتية :

أ.أهم المصنفات التي تناولت الموضوع .

ب.أهمية الشواهد القرآنية .

جـ.ماهية التذكير والتأنيث في اللغة العربية .

أ. أهم المصنفات التي تناولت موضوع التذكير والتأنيث

حظي هذا المبحث بعناية كثير من المهتمين بشان هذه اللغة الشريفة ، فقد بعت جملة من المصنفات التي عالجت هذا الموضوع نذكر منها :

١. المذكر والمؤنث لأبى موسى الحامض . حققه د. رمضان عبد التواب وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٧م .
٢. المذكر والمؤنث لابن فارس . حققه د. رمضان عبد التواب وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٩م .
٣. المذكر والمؤنث للمبرد . حققه د. رمضان عبد التواب و د. صلاح الدين الهادي ونشر في القاهرة سنة ١٩٧٠م .
٤. مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة . حققه د. رمضان عبد التواب وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٢م .
٥. المذكر والمؤنث للفراء . حققه د. رمضان عبد التواب وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٥م .

وقد ذكر الدكتور طارق الجنابي ان الدكتور نهاد جتن رئيس قسم اللغة العربية بآداب

جامعة استانبول حققه وقدم لـه بدراسة ضافية (مقدمة المذكر والمؤنث لابن الانباري ص٤٧ .

٦. المذكر والمؤنث لابن الانباري . حققه د. طارق الجنابي ونشره ببغداد سنة ١٩٧٨م .

٧. المذكر والمؤنث لابن التستري . حققه د. احمد عبد المجيد هويدي وطبع في القاهرة سنة ١٩٨٣م .

٨. المذكر والمؤنث لان جني حققه د. طارق نجم عبد الله وطبع في جدة سنة ١٩٨٥م .

ب. اهمية الشواهد القرآنية

الشاهد هو ما يذكر لاثبات قاعدة كآية من التنزيل او قولٍ من العرب الموثوق بعربيتهم[١] والفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب ووزبدته وواسطته[٢] ولما تتحلى به لغة القرآن الكريم من اهمية خاصة فقد عد سيبويه القرآن الكريم الاساس الاول في الاستشهاد[٣] .

وذهب الفرّاء الى ان القرآن اعرب واقوى في الحجة من الشعر[٤] .

وذهب يوهان فك الى ان لغة القرآن صورة فذة لا يدانيها اثر لغوي في العربية على الاطلاق[٥] .

ما تقدم غيض من فيض مما يدل على اهمية الشاهد القرآني في لغة العرب.

جـ. ماهية التذكير والتأنيث في اللغة العربية

من خلال معرفتنا المتواضعة باللغة الانكليزية نجد ان معظم الاسماء منها يستوي فيها المذكر والمؤنث من حيث الجنس فالاسماء doctor – teacher pupil – nurse يقصد بها المذكر والمؤنث وهناك القليل من الكلمات تختص إما بالمذكر واما بالمؤنث نحو **boy , king , man** للمذكر و queen , woman , girl للمؤنث ومع هذه الكثرة التي يستوي فيها المذكر والمؤنث وهذه القلة الخاصة بكل منهما في الانكليزية يظل الفعل في الجملة الانكليزية هو لا يتغير سواء اكان الفاعل مذكراً ام مؤنثاً فنقول :

الرجل يقرأ جيداً - The man reads well

المرأة تقرأ جيداً - The woman reads well

اما في اللغة العربية فإن الامر يختلف اختلافاً كبيراً لما سيتضح ذلك في دراسة الشواهد القرآنية التي تمثل فيها هذا البحث .

لقد تناول علماء العربية موضوع التذكير والتانيث اذ ذكر سيبويه (ت. ١٨هـ) ان الاشياء اصلها التذكير ثم تختص بعد فكل مؤنث شيء والشيء يذكر فالتذكير اول[٦] .

وذكر محمد بن القاسم الانباري (ت. ٣٢٨هـ) ان التأنيث يثقل الاسم ونقل عن الفراء (ت٢٠٧هـ) انه انما صار التأنيث اثقل من التذكير لان التأنيث يثقل الاسم وذلك انه مضارع للفعل وانما ضارع الفعل لانه ثان له بعده كما ان الفعل بعد الاسم والدليل على ان المذكر

قبل المؤنث انك تقول قائم وقائمة وقاعد وقاعدة وجالس وجالسة فتجد هذا التأنيث فيه مزيداً على التذكير فالمزيد عليه هو الاصل[٧] .
وقد قال ابن جني (ت.٣٩٢هـ) ان الفعل لم يكن في القياس تأنيثه الا تراه مفيداً للمصدر الدال على الجنس والجنس اسبق شيء الى التذكير وانما دخل علم التأنيث في نحو قامت هند وانطلقت جُمْل لتأنيث فاعله ولو كان تأنيث الفعل الشيء يرجع اليه هو لا الى فاعله لجاز قامت هند وانطلقت جعفر[٨] .
والدليل على ان العلامة لتأنيث الفاعل انها لا تلحقه الا اذا كان الفاعل مؤنثاً للايذان بان الفعل مسند الى المؤنث [٩] .

اقسام المؤنث في العربية

الاسماء المؤنثة تنقسم على اربعة اقسام :
الاول : ان يكون الاسم المؤنث فيه علامة فاصلة بينه وبين المذكر كقولك خديجة وفاطمة وامامة وليلى وسعدى وعفراء الهاء والياء والمدة فواصل بين المذكر والمؤنث .
الثاني : ان يكون الاسم المؤنث مستغنياً بقيام معنى التأنيث فيه عن كقولك زينب ونوار وهند ودعد وعين وما اشبه ذلك ومعنى التأنيث قائم فيهن لا علامة التأنيث في لفظهن .
الثالث : ان يكون الاسم المؤنث مخالفاً لفظ ذكره مصوغاً لتأنيث فيصير تأنيثه معروفاً لمخالفته لفظ ذكره مستغنى فيه عن العلامة كقولك : جدي وعناق وحمل وحمار وربما مالوا الى الاستيثاق وازالة الشك عن السامع فأدخلوا الهاء في المؤنث الذي لفظه مخالف ذكره فمن ذلك قولهم شيخة وعجوزة والاكثر في كلامهم عجوز بغير هاء لخلاف لفظ الانثى لفظ المذكر .
الرابع : ان يكون الاسم الذي فيه علامة التأنيث واقعاً على المذكر والمؤنث كقولهم شاة للمذكر والانثى وكذلك بقرة وجرادة لم يرد بالهاء هنا التانيث المحض انما ارادوا الواحد فكرهوا ان يقولوا عندي شاء وبقر وجراد وهم يريدون الواحد فلا يقع بين الواحد والجمع فصل فجعلت الهاء دليلاً على الواحد وقد يكون الاسم واقعاً على المذكر والمؤنث ولا علامة للتأنيث كقولهم عقرب ذكر وعقرب انثى ويقال رأيت عقرباً على عقرب[١٠] وبعد هذه المقدمة التي رأيتها ضرورية اذكر نماذج مختارة من تلكم الشواهد القرآنية المباركة التي ازدان بها معجم لسان العرب لابن منظور والتي ضمت هذا المبحث الحيوي على وجه الاختصار .

١. تذكير القوم وتأنيثه

استشهد ابن منظور بقوله تعالى (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ)[١١] على تذكير القوم وبقوله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ)[١٢] على تأنيثه .
ونقل ابن منظور عن الجوهري ان القوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه وأنّه قد تدخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء وان القوم يذكر ويؤنث لان اسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم[١٣] .

واكتفى ابو عبيدة ت ٢١٠هـ عند تناوله هذه المسألة بقوله ان القوم يذكر ويؤنث[١٤]. والظاهر من الشاهد القرآني الذي ساقه ابن منظور ان تذكير القوم وتأنيثه جاء مراعياً للغات العرب .

٢. تذكير الذهب وتأنيثه

نقل ابن منظور في لسانه ان الذهب هذا المعدن المعروف مذكر في لغة العرب وان اهل الحجاز يقولون هي الذهب وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم ولذا قال تعالى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[١٥] فانت وذهب الازهري (ت ٣٧٠هـ) الى ان الذهب مذكر ولا يجوز تانيثه الا ان تجعله جمعاً لذهبة ولذا قال تعالى (وَلا يُنْفِقُونَهَا)[١٦] .

ولا بد من الاشارة ان المعنى انهم يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله ، والكلام هنا محمول على المعنى فكأنه تعالى اراد بالذهب والفضة (الاموال) وقد يكون المراد الفضة وفي الاية حذف وتقدير (ولا ينفقون الفضة) فحذف الذهب وكان اصل الكلام (والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه والفضة ولا ينفقونها) فأختصر الكلام كما قال تعالى (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)[١٧] ولم يقل يرضوهما . ومن هذا يظهر ان تأنيث الذهب او تذكيره مسألة غير محسومة اذ قد يذكر الذهب عند قبيلة من قبائل العرب وقد يؤنث عند اخرى .

٣. تأنيث بعض وتذكيرها

ذكر ابن منظور في هذه المادة ان بعض الشيء طائفة منه والجمع ابعاض واشار الى ان الزجاجي ت ٣٤٠هـ قد استعمل بعضاً بالالف واللام واورد الاية الكريمة (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ)[١٨] على بعض القراءات وعلل تأنيث الفعل في الاية الكريمة بان بعض السيارة سيارة كقولهم ذهبت بعض اصابعه لان بعض الاصابع يكون اصبعاً واصبعين واصابع[١٩] .

وان هذا المبحث الذي يدخل في مادة النحو كان محط عناية النحاة اذ قال سيبويه (...وربما قالوا في بعض الكلام ، ذهبت بعض اصابعه وانما انث البعض لانه اضافه الى مؤنث هو منه ولو لم يكن منه لم يؤنثه لانه لو قال ذهبت عبد امك لم يحسن)[٢٠]

وتكلم ابو بكر الانباري على بعض وتأنيثها فيما يضاف من المذكر الى المؤنث فيحمل مرة على لفظ المذكر ومرة على لفظ المؤنث فيؤنث فقال من ذلك قولهم بعض جبتك متخرّق ومتخرقة فمن قال متخرّق ذكره لانه لبعض وبعض مذكر ومن انثه ذهب الى معنى جبتك متخرّقة .. واستشهد بقوله تعالى (يلتقطه بعض السيارة) قال فذكّر الفعل لانه لبعض وبعض مذكر وقرأ الحسن (تلتقطه) بالتاء فانثه على معنى تلتقطه السيارة[٢١]

ويظهر ان ابن الانباري استند فيما قاله الى قول الفرّاء (ت٢٠٧هـ) الذي قال ان العرب اذا اضافت المذكر الى المؤنث وهو فعل له او هو بعض له او هو بعض له قالوا فيه بالتأنيث والتذكير[٢٢] .

ومما يسوقه ابن منظور وهو متصل بالموضوع المتقدم قوله تعالى (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ)[٢٣] برفع مثقال مع علامة التأنيث في (تك) معللاً ذلك بأنه مثقال حبة راجع الى معنى الحبة[٢٤] .

ونلحظ ان صاحب اللسان قد اورد الاية الكريمة على وفق احدى القراءات ولم يذكرها على وفق القراءة المشهورة في المصاحف التي بين ايدينا اذ وردت فيها (مثقال) منصوبة والذي قرأها بالرفع هو نافع[٢٥] .

٤.تأنيث قريب وتذكيرها

من الشواهد القرآنية التي تضمنت مبحث التذكير والتأنيث قوله تعالى (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)[٢٦] وقد ذكرت لفظة (قريب) هنا وعزا صاحب اللسان تذكيرها الى ان الساعة مؤنثة تأنيثاً غير حقيقي ونشير هنا الى ان الفرّاء علل التذكير في قريب بان القرب المراد في الاية ليس بقرابة النسب وان العرب تؤنث القريبة في النسب فاذا قالوا دارك منا قريب او فلانه منك قريب في القرب والبعد ذكروا وانثوا وذلك ان القريب في المعنى وان كان مرفوعاً فكانه تاويل هي من مكان قريب فجعل القريب خلفاً من المكان كما قال الله تعالى (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[٢٧] وقوله تعالى (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ)[٢٨] ولو انث ذلك فبنى على بعدت منك فهي بعيدة وقربت فهي قريبة كان صواباً حسناً[٢٩] .

ومن المعلوم ان فعيلاً اذا كان نعتاً للفاعل دخلت الهاء في مؤنثه واذا كان للفاعل فهو مبني على الماضي والمستقبل تقول رجل كريم وامرأة كريمة اما اذا كان فعيل بمعنى مفعول لم تدخل الهاء في مؤنثته كقولك عين كحيل وكف خصيب[٣٠] .

فهل لنا بعد هذا ان نقول ان (فعيل) في الاية الكريمة قد وردت بمعنى المفعول ولذا لم تدخل الهاء في مؤنثها ؟

على ان قول ابي عبيدة في تذكير قريب وتأنيثها قد كان فيه شيء من الغموض ذلك انه قال (لم يجئ مجازها على صفة التأنيث فيقول ان الساعة قريبة والعرب اذا وصفوها بعينها كذلك يصنعون واذا ارادوا ظرفا لها او ارادوا بها الظرف جعلوها بغير الهاء وجعلوا لفظها لفظاً واحداً في الواحد والاثنين والجمع من الذكر والانثى تقول : هما قريب وهي قريب)[٣١]

٥.تأنيث النخل وتذكيره

ذكر ابن منظور ان النخلة شجرة التمر والجمع نخل ونخيل وثلاث نخلات واشار الى ان اهل الحجاز يؤنثون النخل واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ)[٣٢] واشار الى ان اهل نجد يذكرونه واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

كنخل من الاعراق غير منبق[٣٣]

ويرى ابو عبيدة ان النخل فيه لغتان يقال هي النخل وهو النخل[٣٤] وقد نطق القرآن الكريم بتذكير النخل في قوله تعالى (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)[٣٥] وتأنيثه في قوله تعالى (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[٣٦] وعلل ابو العباس المبّرد (ت ٢٨٥هـ) ورود النخل مذكراً في الاية الاولى ومؤنثاً في الثانية بأن النخل في الثانية اريد به جنس النخل واريد به جماعته في الاولى[٣٧] .

٦.تأنيث الانعام وتذكيره

اورد ابن منظور قوله تعالى (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ)[٣٨] ونقل عن الفرّاء ان الانعام ها هنا بمعنى النعم وهي تذكر وتؤنث وقد جاء في القرآن الكريم (مما في بطونها)[٣٩] .

وقد نقل ابن منظور كلام الفراء بشيء من الايجاز ولو رجعنا الى معاني القرآن لرأيناه يقول في الاية المتقدمة (ولم يقل بطونها والانعام هي مؤنثة لانه ذهب به الى النعم والنعم ذكر وانما جاز ان تذهب به الى واحدها لان الواحد يأتي في المعنى على معنى الجمع)[٤٠] وقال في موضع اخر في تفسير الاية نفسها ان النعم والانعام شيء واحد وهما جمعان فرجع التذكير الى معنى النعم اذ كان يؤدي عن الانعام[٤١] .

٧.تانيث الرسول وتذكيره

ذكر ابن منظور ان الرسول اذا كان بمعنى الرسالة فأنه يؤنث ويذكر ومن انث جمعه رسلاً .. والرسول الرسالة والمرسل وقال في قول العباس بن مرداس :

الا من مبلغ عنّي خفافاً رسولاً بيت اهلك منتهاها

ان تأنيث الرسول لانه بمعنى الرسالة وفي التنزيل العزيز (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٤٢] لم يشر إليها على الجمع لانه مفعولاً وفعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق[٤٣] .

ويقول ابو عبيدة ان مجاز (رسول) في الاية الكريمة رسالة رب العالمين وان (رسول) في قول كثير عزة :

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم بسرٍ ولا ارسلتهم برسول

هو بمعنى رسالة[٤٤]

ولم يؤول الاخفش ت ٢١٥هـ الرسول في الاية الكريمة بالرسالة بل اولها بالرسل على الجمع وهي عنده مثل قولك هما عدولي[٤٥] .

٨.تأنيث الدار وتذكيرها

يقول ابن منظور[٤٦] ان الدار في اللغة مؤنثة على ما حكاه أئمة العربية ومنهم الجوهري صاحب الصحاح ونقل ابن منظور عنه ان تذكير الدار في قوله تعالى (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)[٤٧] جار على معنى المثوى والموضع ونقل عن الفرّاء ان الله تعالى انث الثواب في قوله تعالى (نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً)[٤٨] على معنى الجنة ولو ذكره لكان صواباً .

وكان الفرّاء قد قال في قوله تعالى (ونعم الثواب) انه تعالى لم يقل (نعمت الثواب) وقال (حسنت مرتفقا) فأنّث الفعل على معنى الجنة ولو ذكر بتذكير المرتفق كان صواباً[٤٩].

٩.تأنيث النحل وتذكيره

جاء في اللسان[٥٠] (النحل ذباب العسل واحدته نحلة .. وقال ابو اسحاق الزجاج ت ٣١١هـ في قوله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)[٥١] جائز ان يكون سمي نحلا لان الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها وقال غيره من اهل العربية : النحل يذكر ويؤنث وقد أنثها الله عز وجل فقال (أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً)[٥٢] ومن ذكر النحل فلان لفظه مذكر ومن انثه فلانه جمع نحلة .

ونقل عن الجوهري[٥٣] : والنحل والنحلة الدبر يقع على الذكر والانثى حتى تقول يعسوب .

١٠.تأنيث اللسان وتذكيره

ورد في اللسان [٥٤] (اللسان جارحة الكلام وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذٍ قال اعشى باهلة :

اني اتتني لسان لا اسر بها من علو الا عجب منها ولا سخر

وقال ابن بري ت اللسان هنا الرسالة والمقالة .. قال وقد يذكر على معنى الكلام قال الحطيئة :

ندمت على لسانٍ فات مني فليت بانه جوف عكم

وشاهد السنة والجمع في من ذكر قوله تعالى (وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ)[٥٥] وشاهد السن الجمع في من أنث قول العجاج :

او تلحج الالسن فينا ملحجا

١١.تأنيث اللحوم والدماء وتذكيرها

ذكر ابن منظور في اللسان [٥٦] قوله تعالى (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا)[٥٧] فقال اراد تعالى لن يصل اليه لحومها ولا دماؤها وانما يصل اليه التقوى وذكر الفعل (ينال) لان معناه لن ينال الله شيء من لحومها ولا دمائها ونظيره قوله تعالى (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)[٥٨] أي شيء من النساء ويرى ابو زكريا الفرّاء انه انما سهل التذكير في قوله تعالى (لن ينال الله لحومها) وفي قوله تعالى (لا يحل لك النساء) لان معهما جحداً والمعنى فيه لا يحل لك احد من النساء ولن ينال الله شيء من لحومها فذهب بالتذكير الى المعنى[٥٩]

وهكذا نرى ان موضوع التذكير والتأنيث قد دخل في باب الحمل على المعنى عند علماء العربية وهو باب واسع من ابواب هذه اللغة[٦٠] ومن هذا المحمول على المعنى عندهم قوله تعالى (هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي)[٦١] فقد نقل ابن منظور عن الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ان الكلام هنا محمول على المعنى[٦٢] .

ومن هذا الحمل قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ)[٦٣] فقد أنث تعالى (خالصة) لانه جعل معنى ما للتأنيث لانها في معنى الجماعة كأنهم قالوا جماعة ما في البطون العائدة الى الانعام خالصة لذكورنا ثم انه تعالى ردّ لفظ

(محرم) على لفظ (ما) وقد قيل ان التأنيث في (خالصة) بسبب تأنيث الانعام ونقل ابن منظور عن ابن سيده ت ٤٥٨هـ هو ان الحمل على المعنى متوجّه في هذه الاية[٦٤] .

ومن هذا الباب ما نقله ابن منظور عن ابن الانباري في تفسير قوله تعالى (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور)[٦٥] ان ذات الصدور هنا معناه حقيقة الصدور فتأنيث (ذات) انما كان لهذا المعنى كما قال تعالى (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ)[٦٦] فانث ذات على معنى الطائفة كما تقول لقيته ذات مرة فتؤنث ذات ولا تقول (ذا يوم) لان مرادك لقيته مرة في يوم ومثل ذلك قوله تعالى (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَال)[٦٧] اراد تعالى بذات الجهة وكذلك انثها فكأن التأويل جهة ذات يمين الكهف وجهة ذات شماله[٦٨] وكما دخل مبحث التذكير والتأنيث في مدخل الحمل على المعنى عند النحاة دخل عندهم في مبحث الاضافة وهو مبحث نحوي معروف ذلك انهم اختلفوا في قوله تعالى (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)[٦٩] وقد ادلى جماعة من النحاة بدلوهم في تفسير هذه الاية وتأويلها .

وقد اورد ابن منظور هذه الاية الكريمة ونقل رأي جملة من النحاة فيها ولعل الرأي الواضح فيها هو رأي الفرّاء الذي قال ان فيها وجوهاً كلها صواب اولها ان مجاهداً جعل الاعناق الرجال الكبراء فكانت الاعناق هنا بمنزلة قولك ظلت رؤوسهم رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين والوجه الاخر ان تجعل الاعناق الطوائف كما تقول رأيت الناس الى فلان عنقاً واحدة فتجعل الاعناق الطوائف .

قال : واحب الي من هذين الوجهين في العربية ان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون فجعلت الفعل اولاً للاعناق ثم جعلت خاضعين للرجال كما انك تكتفي بأن تقول خضعت لك رقبتي الا ترى العرب تقول كل ذي عين ناظر ناظرة اليك لان قولك نظرت اليك عيني ونظرت اليك بمعنى واحد فترك كل وله الفعل ورد الى العين فلو قلت فظلت اعناقهم لها خاضعة كان صواباً[٧٠] .

ويرى ابو اسحاق الزجاج ان خضوع الاعناق خضوع اصحاب الاعناق لما لم يكن الخضوع الا خضوع الاعناق جاز ان يخبر عن المضاف اليه كما قال الشاعر :

رأت مر السنين اخذن منّي كما اخذ السرار من الهلال

لما كانت السنون لا تكون الا بمر اخبر عن السنين وان كان اضاف اليها المرور[٧١] ويرى ابو بكر الانباري ان تأنيث (ظل)على لفظ الاعناق وذكر (خاضعين) على معنى القوم كأنه قال (فظلوا خاضعين) لان قولك خضعت لك كقولك خضعت رقبتي لك[٧٢] .

ويلاحظ هنا ان القولين المتأخرين في هذه الاية يستندان الى قول ابي زكريا الفراء . وهناك شواهد قرآنية غير التي قدمت استشهد بها صاحب اللسان على موضوع التذكير والتأنيث لم نذكرها طلباً للاختصار والله ولي التوفيق فذكر قسماً منها على سبيل المثال مع مادتها في اللسان .

الخـاتمـة

كانت تلك امثلة مختارة من الشواهد القرآنية المباركة التي زينت صفحات ثاني اثنين في دنيا المعجمات العربية كتاب لسان العرب لمصنفه العلامة ابن منظور الافريقي الانصاري المتوفي عام (٧١١هـ) والتي ساقها مستشهداً فيها على مبحث التذكير والتأنيث في لغتنا العربية الشريفة ، التي ستضل خالدة خلود الدهر لانها لغة القرآن الكريم ولغة رسول الانسانية العظيم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) .
ولغة الصحابة الاجلاء ولغة العلم والحضارة منذ قرون عدة .

ويمكن للباحث المدقق في هذه الشواهد المباركة ان يستنتج ما يأتي :

١. ان لغة العرب لغة تحتمل الفاظها اكثر من تأويل او تفسير كما مر بنا عند دراستنا للشواهد القرآنية التي استشهد بها ابن منظور .
٢. لعلماء اللغة والنحو غير رأي في تفسير ما جاء في الشاهد القرآني .
٣. يمكن ان تكون هناك دراسات وبحوث كثيرة في شتى مجالات اللغة العربية مستنبطة من الشواهد القرآنية التي يسوقها صاحب اللسان .

والله ولي التوفيق

الهوامش

١. الشواهد والاستشهاد في النحو ٢٢
٢. مفردات الفاظ القرآن ٥٥
٣. الشاهد واصول النحو ٣٢
٤. بنظر معاني القرآن للفرّاء ١٤/١ والشواهد والاستشهاد في النحو / ٢٠٢
٥. العربية / يوهان فك ٤
٦. بنظر الكتاب ٢٢/٢ والتكملة ٢٩٣ والخصائص ٢٤٢/٣ والحمل على المعنى / ١٠٨
٧. المذكر والمؤنث / ١٢٨ وينظر الاشباه والنظائر ٢٥٧/١
٨. الخصائص ٢٤٤/٣
٩. شرح المفصل ٩٦/٦
١٠. بنظر المذكر والمؤنث لابن الانباري / ٨٨-٩٣
١١. الانعام / ٦٦
١٢. الشعراء / ١٠٥
١٣. اللسان (قوم) والصحاح (قوم)
١٤. بنظر مجاز القرآن ٨٧/٢
١٥. التوبة / ٢٤

١٦.اللسان (كنز) وينظر التهذيب (ذهب)
١٧.التوبة / ٦٢
١٨.يوسف / ١٠
١٩.اللسان (بعض)
٢٠.الكتاب ٢٥/١
٢١.المذكر والمؤنث / ٥٩٢ وينظر مختصر شواذ القراءات / ٦٢
٢٢.معاني القرآن / ٣٦/٢
٢٣.لقمان / ١٦
٢٤.اللسان (ثقل)
٢٥.معاني القرآن ٣٦/٢
٢٦.الشورى ١٧ واللسان (قرب)
٢٧.هود / ٨٣
٢٨.الاحزاب/٦٣
٢٩.معاني القرآن ٣٨٠/٣
٣٠.المذكر والمؤنث / لابن الانباري / ٤٥١
٣١.مجاز القرآن ٢٠٠/٢
٣٢.الرحمن / ١١
٣٣.اللسان (نخل)
٣٤.مجاز القرآن ٢٤١/٢
٣٥.القمر /٢٠
٣٦.الحاقة /٧
٣٧.المذكر والمؤنث / ٨٥
٣٨.النحل /٦٦
٣٩.المؤمنون / ٢١
٤٠.معاني القرآن ١ /١٢٩
٤١.المصدر نفسه ١٠٨/٢ ومجاز القرآن ٣٦٢/١
٤٢.الشعراء /١٦
٤٣.اللسان (رسل)
٤٤.مجاز القرآن ٨٤/٢
٤٥.معاني القرآن ٦٤٥/٢

٤٦.اللسان (دور)
٤٧.النحل /٣٠
٤٨.الكهف /١٨
٤٩.معاني القرآن / ١٤١/٢
٥٠.اللسان (نحل)
٥١.النحل /٦٨
٥٢.النحل / ٦٨
٥٣.الصحاح (نحل)
٥٤.اللسان (لسن)
٥٥.الروم /٢٢
٥٦.اللسان (نيل)
٥٧.الحج/٣٧
٥٨.الاحزاب /٥٢
٥٩.معاني القرآن ٢٢٨/١
٦٠.ننظر الحمل على المعنى في العربية / مقدمة الرسالة
٦١.الكهف /٩٨
٦٢.اللسان (ريب)
٦٣.الانعام / ١٣٩
٦٤.اللسان (خلص)
٦٥.هود /٥
٦٦.الانفال /٧
٦٧.الكهف /١٧
٦٨.اللسان (ذو) و (ذات) وبنظر المذكر والمؤنث لابن الانباري
٦٩.الشعراء /٤
٧٠.معاني القرآن ٢٧٦/٢
٧١.معاني القرآن واعرابه ١٣٧/٣
٧٢.المذكر والمؤنث /٥٩٢

مصادر البحث

١. الاشباه والنظائر في النحو ـ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق : عبد الرؤوف سعد القاهرة ١٩٧٥م .
٢. اعراب القرآن للنحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق : زهير غازي زاهد ، وزارة الاوقاف ، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٧م .
٣. التكملة : ابو علي النحوي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : كاظم بحر المرجان جامعة الموصل ١٩٨١م .
٤. تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م .
٥. الحمل على المعنى في العربية : رسالة ماجستير مخطوطة . علي عبد الله حسين العنبكي مقدمة الى كلية الآداب في الجامعة المستنصرية ١٩٨٦ .
٦. الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني . (ت ٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار دار الهدى بيروت .
٧. السبعة في القراءات : ابن مجاهد احمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ) تحقيق : د. شو في ضيف ـ دار المعارف ـ مصر .
٨. الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧٤م .
٩. الشواهد والاستشهاد في النحو : عبد الجبار علوان ، مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٦م .
١٠. العربية - دراسات في اللغة والاساليب واللهجات - يوهان فك نقله الى العربية ، د. عبد الحليم النجار ، ط١ ، القاهرة ١٩٥١م .
١١. الكامل في النحو واللغة : المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد ابو الفضل والسيد شحاتة . دار النهضة مصر بالفجالة .
١٢. كتاب سيبويه : سيبويه عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ط بولاق ١٣١٦هـ .
١٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : القيسي : مكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ) تحقيق : محيي الدين رمضان ـ مجمع اللغة العربية ـ بدمشق ١٩٧٤م.
١٤. لسان العرب : ابن منظور : محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) دار صادر بيروت ١٩٥٦م .
١٥. مجاز القرآن : ابو عبيده معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ط١ جـ١ ١٩٥٤ / جـ٢ ١٩٦٢ .

١٦.المحتسب في وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابو الفتح عثمان بن جني . تحقيق علي النجدي ناصف ، عبد الحليم النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي ، لجنة احياء التراث الاسلامي القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٣٨٩هـ .
١٧.المذكر والمؤنث : ابن الانباري ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي وزارة الاوقاف مطبعة العاني ط١ ١٩٧٨م .
١٨.المذكر والمؤنث / الفراء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) تحقيق د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٥م .
١٩.المذكر والمؤنث : المبرد تحقيق د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي القاهرة ١٩٧٠م .
٢٠.معاني القرآن : الفراء : عالم الكتب بيروت .
٢١.مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ابن هشام (ت ٧٦١هـ) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني القاهرة .
٢٢.مفردات الفاظ القرآن الكريم : الحسين بن محمد بن المفضل ـ الراغب الاصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) : تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ط١ دار القلم دمشق ١٩٩٦م.